خاتمة

روح الدين الإسلامي

أول ما يسترعي انتباه المطلع على التشريع الإسلامي هو أنه تشريع يوجه الحياة الإنسانية في مظهريها المادي والروحي معاً.. وليس عجيباً أن تكون الزكاة - وهي مادة - داخلةً ضمن العبادات الإسلامية، ومقرونة في القرآن دوماً بالصلاة، فلا تذكر الصلاة غالباً إلا ويعقبها الإشارة إلى الزكاة، ولئن كانت الصلاة عبادة جسدية وروحية، فإن الزكاة مثلها كذلك. والعبادات كلها حركات ماديّة ظاهرة، إلا أنها تتصل بالله اتصالاً وثيقاً.

تتناول كتب الفقه أبواب المعاملات بأنواعها ثم الحدود والقانون الدولي الإنساني بما فيه التمثيل الدبلوماسي، وتنتهي بأبواب المواريث والوصية. وهذه كلها تصب في التشريع باتجاهين متوازيين مادي ومعنوي. وقد ربط الدين كل عمل يحدثه الإنسان بمقصده الروحي من خلال الحديث الصحيح : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

---

(١) البخاري ١، مسلم ١٩٠٧، الترمذي ١٦٤٧.

والنتيجة أن الإسلام راعى الجسم وحاجاته، واهتم بالروح وسكينتها، ولم ينظر لأحدهما دون الآخر، فأحدث بذلك توازناً. ومن هنا سمي الإسلام دين الفطرة[١].. أي إنه لبى حاجة الفرد الأساسية؛ فأشبع رغبات الجسم ونظَّمها، وأعطى الروح ما يلزمها، بحيث لا يطغى جانب منهما على جانب. والمسلم المتوازن من يراعي هذه الثنائية بينهما. وقد دعا النبيﷺ إلى هذه الحياة المتوازنة عندما قال لعبد الله بن عمرو بن العاص حينما رآه منصرفاً إلى العبادة وحدها في الليل والنهار : «إن لزوجك عليك حقاً، وإن لِزَورك عليك حقاً، وإن لجسمك عليك حقاً.. فأعط كل ذي حق حقه»[٢].

على أن المسلم الحق ذو شخصية متميّزة متزنة؛ فهو قوي في جسمه، وقوي في روحه المعنوية المرتفعة، وقوي في فكره الذي ينطلق فيه من النظر الصحيح للأمور؛ «لا تكونوا إمّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنّا، وإن أساؤوا أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا»[٣]؛ وليس معنى هذا الاعتداد بالنفس، ولكنه التفكير الصحيح، لأن المسلم متعاون مع الآخرين منسجم معهم ألوف، يألف ويؤلف.

---

(١) الفطرة : الطبيعة السليمة التي لم تختلط بعيب.

(٢) البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود.

(٣) كنز العمال ١٥/ ٤٣٠٣٥.

ولذا فهو يفكر بإخوانه وينصح لهم، ويعينهم لأنه يحبهم في الله، ولا يكرههم ولا يحقد على أحد منهم، ويتسامح معهم وإن أساؤوا إليه.. ولا يتفوه معهم إلا بالخير، ولا يعنف عليهم، ولا يرونه إلا على أحسن حال في الابتسام والنظافة.

وهو امرؤ جادّ لا يعرف إلا اللهو البريء، ولا يضيع أوقاته سدى، لأنه يعلم أنه محاسب على أوقاته التي هي عمره. عاملٌ ما استطاع لإعمار دنياه بالعمل النافع وآخرته بالعبادة والتقرب إلى الله. وهو في عمله دائم الاعتماد على نفسه مع التوكل على الله، يَعُدّ العمل سبباً أمره الله به، والتوكل أساساً له، لأنّ الموفِّق هو الله وحده، ومن هنا فهو لا يرجو غيره ولا يخاف سواه، لأنه يعلم أن الله عظيم مالك المُلك، وإرادته وحدها هي النافذة.

وإذا اغتنى المسلم من عمله فإنه لا يبطر ولا يطغى، ولا يستعمل ماله في الترف والسرف، بل يعود خيره على من حوله. وإذا افتقر صبر، ولم يذلَّ ولم ييئس ولم يقنط من رحمة الله، بل هو دائم التفاؤل لأمر الدنيا، دائم الحزن لأمر الآخرة.. ولذا يعيش حياة متزنة، ويسأل الله أن يبدل عسره إلى يسر .

وفي حياته نظام بعيد عن الفوضى سواء في عباداته أم عمله، ومع النظام بساطة في العيش، أكلاً وشرباً ولباساً وتعاملاً.

والمسلم أخيراً يستفيد من تجارب حياته، فإذا وقع في خطأ تراجع عنه تماماً، وحاول ألا يقع في مثله مرة أخرى «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»[١].

هذا وبالله التوفيق

(١) كنز العمال ١/ ٧٢٣.

obeikandl.com

مصادر ومراجع للاستزادة

- أسد الغابة، ابن الأكثير.
- الإسلام (من كتاب مقارنة الأديان)، أحمد شلبي.
- أصول الفقه، شاكر الحنبلي.
- الله ليس كذلك، زغريد هونكه.
- البداية والنهاية، ابن كثير.
- تاريخ الأمم والملوك، الطبري.
- تحت راية الرسولﷺ، نزار أباظة.
- التراتيب الإدارية، عبد الحي الكتاني.
- تقييد العلم، الخطيب البغدادي.
- التعريف بالإسلام، محمد حميد الله.
- الرسالة القشيرية، القشيري.
- روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة.
- السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب.
- السياسة الشرعية، الماوردي.
- السيرة النبوية، ابن هشام.

obeikandl.com

- شرح السير الكبير، محمد بن الحسن الشيباني.
- العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي.
- علوم القرآن، صبحي الصالح.
- فقه الغناء والموسيقى، يوسف القرضاوي.
- في مدينة الرسولﷺ، نزار أباظة.
- مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله.
- النظرة النبوية في نقد الشعر، وليد قصّاب.
- هذا هو الإسلام فأين المسلمون، إبراهيم حقي.
- هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون، إبراهيم حقي.

obeikandl.com